

تفاءلوا بالخير.. (4) د. عدنان بن محمد مجلي



كيف تتحول الأقدار المؤلمة إلى منح ربانية؟

في خضم أزماتنا، كثيراً ما نتساءل بقلوبٍ مكلومة: "لماذا حدث هذا لي؟". قد نفقد عزيزاً، أو نخسر عملاً، أو نمر بضيق لا نرى له مخرجاً. لكن الإيمان يعلمنا أن خلف كل "قدرٍ مؤلم" حكمةٌ بالغة، وأن ما نراه شراً هو في الحقيقة بوابة لخيرٍ عظيم لا تدركه أبصارنا القاصرة.

مدرسة الخضر: حين يكون "الخرق" نجاة!

تضعنا سورة الكهف أمام أعظم درس في الفأل الحسن من خلال قصة موسى والخضر عليهما السلام. تأمل تلك المشاهد الثلاثة التي بدت في ظاهرها "مصائب":

خرق السفينة: بدا كأنه إفساد وتخريب، لكنه كان "السبيل الوحيد" لحمايتها من ملكٍ غاصب يصادر كل سفينة صالحة.

فقد الغلام: قضاءٌ بدا مرّاً وقاسياً، لكنه كان رحمةً بالوالدين وحمايةً لهما من طغيانٍ مستقبلي، وتعويضاً بخيرٍ منه.

بناء الجدار: عملٌ شاق بلا مقابل في قريةٍ ليّيمة، لكنه كان حفظاً لكنزٍ يتيمين برعاية الله. هذه المشاهد تلخص لنا قاعدة ذهبية: "الله لا يقضي للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له".

ألطاف الله الخفية: المنع هو عين العطاء

التفأول بالخير ليس مجرد شعور ودي، بل هو يقينٌ راسخ بأن الله أرحم بك من نفسك. عندما يغلق الله في وجهك باباً، فإنه يحميك من شرٍ خلفه، أو يجهزك لفتح بابٍ أعظم منه.

إن "المنع" في حقيقته هو "عطاءٌ مُقنَع": فكم من خسارةٍ مادية كانت سبباً في ثروةٍ معنوية، وكم من مرضٍ كان سبباً في إحياء قلب، وكم من ضيقٍ كان مقدمةً لفرجٍ أبهر العقول.

كيف تستثمر "التفأول" في لحظات الانكسار؟

لكي تحول الألم إلى أمل، عليك بتبني ثلاث قناعات:

ثق بالحكمة لا بالمشهد: المشهد الحالي قد يكون مؤلماً، لكن الحكمة الإلهية تدبر لك خيراً لا تراه الآن.

قل "لعله خير" بيقين: هذه الكلمة ليست مسكناً، بل هي مفتاح للرضا يستجلب معونة الله وتيسيره.

انتظر أثر اللطف: الله الذي شق البحر لموسى، وحفظ يونس في بطن الحوت، قادر على أن يبذل حالك في طرفة عين.

استبشر.. فربك يدبر الأمر لا تضق ذرعاً بما تراه عائقاً في طريقك، فربما كان هو "السد" الذي يمنع عنك شراً أكبر. تذكر دائماً أن السفينة التي حُرقت هي التي نجت! ثق بالله، وابتسم لأقداره، وتفاءلوا بالخير تجدوه؛ فالحياة مع الله هي رحلة من الطمأنينة التي لا تنقطع، واليقين بأن العواقب دائماً ما تكون أجمل مما تتخيل.

د. عدنان بن محمد مجلي